مجلة إشكالات في اللغة والأدب — مجلد: 12 عدد: 2، يونيو 2023
ص: 393 - 407 — E ISSN: 2600-6634 / ISSN:2335-1586

مفاهيم الحجاج وآلياته بين الطروحات العربية والمفاهيم الغربية

The Concepts and Mechanisms of the Argumentation Between the Arab Propositions and the Western Concepts

أ.د ارفيس بلخير *
Refice Belkheir
مخبر الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية
جامعة محمد بوضياف -المسيلة (الجزائر)
University of Mohamed Boudiaf- Msila (Algeria)
belkheir.refice@univ-msila.dz

تاريخ الإرسال: 2022/08/02	تاريخ القبول: 2022/12/24	تاريخ النشر: 2023/06/02

ملخص البحث

يعالج هذ المقال مفاهيم الحجاج وآلياته بين الدرسين التراثي والحداثي، محاولا الإجابة عن الإشكالية التالية: إلى أي مدى يمكن الكشف عن مفاهيم الحجاج وآلياته بين الدرسين العربي والغربي؟ وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي، لتخلص في الأخير إلى أن الحجاج ذو بعد إنساني، تتناوله جميع الأمم من حيث المبدأ، وتختلف في بعض تفاصيله من حيث الإجراء.

الكلمات المفتاح : حجاج، بلاغة، فكر غربي، فكر عربي

Abstract :

This article deals with the concepts and mechanisms of the argumentation between the traditional and modern lessons, trying to answer the following problematic: To what extent can argumentation's concepts and mechanisms be revealed between the Arab and Western lessons? The study adopted the descriptive approach, it concluded that the argumentation has a human dimension, which all nations deal with in principle, and they differ in some of its details in terms of the procedure.

.**Keywords:** argumentation, rhetoric, Western thought, Arab thought.

مقدمة:

إذا كان الحجاج آلية لغوية يعتمدها المتكلم من أجل الإقناع أو التأثير، فمعنى هذا أنه قد ارتبط بأول حدث تواصلي بين اثنين، ويمكننا التأصيل لأول محاججة على وجه الأرض لتلك التي دارت بين هابيل وأخيه قابيل.

* ارفيس بلخير: belkheir.refice@univ-msila.dz

وعلى هذا الأساس، فإنه ينبغي علينا الإقرار بأن الأمم جميعها قد عرفت الحجاج كفعل، بيد أنهم اختلفوا في التأسيس له كنظرية علمية خاصة، أو كمقاربة منهجية في الأداء اللغوي.

ويكتسي هذا المقال أهميته في كونه يبحث في مفاهيم الحجاج وآلياته بين ما طرحه الدرس العربي القديم، وما تبناه الدرس اللغوي الحديث؛ فالحجاج لا يعدو أن يكون بابا من أبواب التداوليات الحديثة، والتي تعنى بدراسة اللغة في الاستعمال. وسنحاول في هذا المقال الإجابة عن الإشكالية الآتية:

إلى أي مدى يمكن الكشف عن مفاهيم الحجاج وآلياته بين الدرسين العربي والغربي؟

ولمحاصرة هذه الإشكالية، فقد تم تقسيم البحث على محورين:

الأول: يتناول الحجاج في الفكر العربي، المفاهيم والمنطلقات

الثاني: الحجاج في الدرس الغربي: المرتكزات والآليات

وإذا كان المحور الأول يركز على المفاهيم والمنطلقات، فإن المحور الثاني يركز على الآليات؛ ذلك أن الآليات تظهر بصورة أكثر في الدرس الغربي منها في الدرس العربي، وهو ما سنلاحظه في بحثنا هذا.

أولا: الحجاج في الدرس العربي: المفاهيم والمنطلقات:

1-مفاهيم الحجاج في الدرس العربي:

الحجاج والمحاجة مصدران لفعل حاجج، جاء في لسان العرب: حجج: الحج: القصد. وحجّه يحجه حجا: قصده. والحجة: البرهان، وقيل: الحجة ما دفع به الخصم[1]. ويقال حاجه محاجة وحجاجا أي نازعه. وحجه يحجه حجا: غلبه على حجته[2].

وقد ورد لفظ " الحجة" في القرآن الكريم في أكثر من موضع، ومن ذلك قوله تعالى: وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ "[3]

كما ورد لفظ الحجة أو ما اشتق منه في الحديث النبوي الشريف، ومثاله ماروواه أبو أمامة الباهلي حيث قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ "[4]

أما في التراث العربي، فإن الجاحظ يعد بحق عراب الحجاج الأول، والخائض فيه، والمسهب في أبوابه، والمنقب على أسمى صوره، والباحث عن أدق أدواته، كيف لا؟ وهو مؤلف كتاب البيان والتبيين؛ فالبيان لا يكون إلا بالتبيين ومنه، ثم هو رجل محاججة ميداني، ذو نزعة عقلية استمدها من فكره الاعتزالي، حاول بها إفحام الخصوم، وإسكات الغلاة من الخواص والعموم، فلم يكتف بالمحاججة الفعلية فحسب، بل نظّر لها وقعّد، وناظر بها وأفحم. ومن هنا جاز لنا التساؤل عن أصول التفكير الحجاجي وآلياته عند الجاحظ؟

نبدأ تحليلنا بما ورد في كتاب البيان والتبيين، حيث يقول: "ثم إني واصل قولي في المعرفة، ومجيب خصمي في معنى الاستطاعة، وفي أي أوجهها يحسن التكليف وتثبت الحجة؟ ومع أيها يسمج التكليف وتسقط الحجة؟ فأول ما أقول في ذلك: أن الله - جل ذكره - لا يكلف أحداً فعل شيء ولا تركه إلا وهو مقطوع العذر، زائل الحجة.[5]

لقد ربط الجاحظ بين الحجة والتكليف، فالحجة هي الآلية الوحيدة في إخراج الفعل من الوجود بالقوة إلى الوجود بالفعل. وعلى هذا الأساس يكون الإقناع، ويحدث الاقتناع، بمعنى آخر، لامعنى للحجة إن كانت مبهمة أو غير مقنعة، ولكن كيف يتسنى لها ذلك؟

هنا بالذات، نجد الجاحظ يقدم جملة من الأسس، الاعتماد عليها هو الكفيل الوحيد بحدوث الإقناع، ومن ثمة تتحقق المحاججة ويكون التأثير.

وأول تلك الأسس هو مراعة الفهم والإفهام؛ إذ يعد حدوث الفهم نقطة الالتقاء الأولى؛ إذ لا جدوى إذا لم تتحد الصور الصوتية مع المدلولات الذهنية للمتخاطبين، وفي هذا يقول :"مدار الأمر والغاية التي إليه يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والافهام "[6]

إن تحقق الفهم والإفهام يعني وضع اللبنة الأولى في نجاح العملية التواصلية، والتي ترتقي من أبسط الصور وهو الفهم، إلى أعقدها وهو التأثير والتأثر، والذي لا يكون إلا بالاقتناع الممكّن الولوج من باب البيان والتبيين، حيث يقول: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[7]

ومن الجدير بالذكر أن نتساءل عن الدواعي الحقيقية التي جعلت الجاحظ يُنظِّر للحجاج وآلياته؟ وفي الحقيقة، وبالمختصر المفيد، يمكن إجمالها في ثلاثة نقاط، يمكن التوسع فيها وشرحها في مواطن أخرى وهي:

أولا: مذهبه الاعتزالي: فدور المعتزلة في التأسيس للبلاغة لا ينكر، وكذا تصديها لقضايا كبرى في الفكر الديني كقضيتي خلق القرآن والمجاز فيه.

ثانيا: ظهور الشعوبية وهجومها على كل ما هو عربي.

ثالثا: بروز قضية إعجاز القرآن وكيفية التبرير له بالأدلة العقلية، وهنا نجد كتابه حجج النبوة كأقوى دليل على هذا الأمر.

ويبرز إلى جانب الجاحظ العلامة ابن وهب، فمن خلال عنوان مؤلفه، البرهان في علوم البيان، يظهر الهدف الأسمى الذي يرمي إليه، فالبرهان لا يكون إلا في مواطن الحجاج والإقناع، والبيان لا يكون إلا في المجادلة والاقتناع، ولهذا، فالجدل عنده" قول يقصد به إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين،

ويُستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات، وفي التسول والاعتذارات، ويدخل في الشعر وفي النثر"[8]

وقد قسم ابن وهب الجدل قسمين: الجدل المحمود الذي يقصد به الحق، ويستعمل فيه الصدق بغيه الوصول الى الصواب. والجدل المذموم الذي يراد به المهارة والغلبة وطلب الرياء والسمعة بغية تحقيق الباطل وركوب الهوى[9]

ولهذا "ينبغي للمجيب إن سئل أن يقنع، وأن يكون إقناعه الإقناع الذي يجب على السائل القبول[10] "، ذلك أنه لا يمكن أن يُقبل قول أو يُرفض إلا بحجة، وفي هذا ما يؤكد أن تصوره للحجاج أو الجدل في نظره قائم أساسا على الإقناع بالحجج العقلية.

وأما حديثا فقد انتقينا التعريف التالي لشموليته وهو: "الحجاج إجراء يستهدف من خلاله شخص ما حمل مخاطبه على تبني موقف معين عبر اللجوء إلى حجج تستهدف إبراز صحة هذا الموقف أو صحة أسسه، فهو إذن عملية هدفها إقناع الآخر والتأثير عليه، ووسيلتها الحجج"[11]

وهو ما يذهب إليه طه عبد الرحمان حين يعتبر الخطاب الحجاجي "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها.[12]

2-آليات الحجاج وفق المفهوم التراثي:

من خلال مجمل آراء الجاحظ وابن وهب المبثوثة في مؤلفاتهما، يمكننا أن نستنتج مقومات الحجاج وآلياته، وتقسيمها وفق مستويات أطراف العملية الحجاجية كالآتي:

أ-فبالنسبة للحجة: وكونها عمدة أية عملية حجاجية فقد بدئ بها، وقد وضعا لها الشروط التالية:

- موافقتها المقام ومواءمتها الكلام؛ ذلك أن أساسها البصر بها ومعرفة مواضعها؛ فـ" من البصر بالحجة، والمعرفة بمواضع الفرصة، أن تدع الإفصاح بها إلى الكناية عنها، إذا كان الإفصاح أوعر طريقة، وربما كان الإضراب عنها صفحا أبلغ في الدرك، وأحق بالظفر"[13]

- إصابة المعنى والقصد إليها دون فضل أو تقصير، أي دون تطويل أو إيجاز، وهذا يعني المساواة، فالكلام البليغ هو الذي نستخدم فيه من الألفاظ القدر الضروري لإبلاغ المعنى إلى السامع[14]

-القوة في الإقناع بالدليل؛ ذلك أنه إذا "كان عندك برهان واضح ودليل بين يكشف لنا عن الحال، فعلينا السمع واليقين والإقرار، وعليك البيان والإفهام بالدليل والحرص[15]

- تخير اللفظ في حسن الإفهام؛ ذلك أنك "إن أوتيت تقرير حجة الله في عقول المكلفين، وتخفيف المؤونة على المستمعين وتزيين تلك المعاني في قلوب المريدين، بالألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان، رغبة في سرعة استجابتهم، ونفي الشواغل عن قلوبهم بالموعظة الحسنة، على الكتاب والسنة[16]."

ب-وأما بالنسبة للمحاجِج: وهو العنصر الثاني، والفاعل الأساس في العملية الحجاجية، وعليه فقد وضع له كل من الجاحظ وابن وهب العديد من الشروط لينجح الحجاج، بل إن العرب كانوا يختارون قديما المفوّه والأقدر على الإقناع ومن شروطه ما يلي:

-رجاحة العقل وقوة الرأي؛ ذلك أن "البلاء كل البلاء أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره"،[17] وعليه فإنه من الضروري الوعي بالحجة والبصر بها، حتى يتحقق الفهم والإقناع.

-سلامة آلة البيان؛ ذلك أن "مدار الأمر على البيان والتبيين، وعلى الإفهام والتفهم، وكلما كان اللسان أبين، كان أحمد".[18]

-اختيار المناسب من الكلام: وهنا ينبغي عليه أن "يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة من ذلك مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات[19]

وحتى يقع الحجاج في دائرة المحمود على حسب تصنيف ابن وهب فإنه ينبغي على المحاجِج ما يلي:[20]

-أن يجعل المجادل قصده الحق وبغيته الصواب.

- ألا يجادل ويبحث في الأوقات التي يتغير فيها مزاجه ويخرج عن حد الاعتدال، وأن يبتعد عن العصبية؛ لأنها تغلب على مستعملها فتبعده عن الحق وتصده عنه.

-تجنب الضجر وقلة الصبر.

-الإنصاف وعدم المكابرة.

-تجنب العُجب، والتسرع في الرد.

-الاجتهاد في تعلم اللغة.

ج- بالنسبة للمحاجَج: وهو المعيار الذي على أساسه يتم تقييم العملية الحجاجية، فإذا حدثت الاستجابة وكان الاقتناع وحدث التأثير كان الحجاج ناجحا، والعكس صحيح

د-بالنسبة للمقام: رغم تأخيرنا لهذا العنصر، إلا أنه يُعدّ بحق الفاعل الرئيس في نجاح العملية الحجاجية، ولهذا ينبغي ما يلي:

- التماس حسن الموقع، والمعرفة بساعات القول، وقلة الخرق بما التبس من المعاني أو غمض، وبما شرد عليك من اللفظ أو تعذر[21] .

-اختيار المعنى الناسب؛ إذ ليس يشرف-المعنى- بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتّضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال. وكذلك اللفظ العامي والخاصيّ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولطف مداخلك، واقتدارك على نفسك، إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة، وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء، ولا تجفو عن الأكفاء، فأنت البليغ التام[22]" .

ويؤكد الجاحظ هذا المعنى بقوله: " إذا أعطيت كلّ مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو، فإنه لا يرضيها شيء[23]" .

إن تجزئة عناصر الحجاج وأطرافه من أجل التبيين والتفصيل، بيد أن نجاح الحجاج لا يكون إلا بتظافر هذه العناصر جميعا، وهو ما أكده الجاحظ بقوله: "فإذا كان الكلام على هذه الصفة، وألف على هذه الشريطة لم يكن اللفظ أسرع إلى السمع من المعنى إلى القلب، وصار السامع كالقائل والمتعلم كالمعلم، وخفت المؤونة واستغني عن الفكرة، وماتت الشبهة وظهرت الحجة، واستبدلوا بالخلاف وفاقا وبالمجاذبة موادعة، وتهنؤوا بالعلم، وتشفوا ببرد اليقين، واطمأنوا بثلج الصدور، وبان المنصف من المعاند، وتميز الناقص من الوافر، وذل المخطل وعز المحصل، وبدت عورة المبطل وظهرت براءة المحق[24]".

ثانيا: الحجاج في الدرس الغربي: المرتكزات والآليات

1-مفاهيم الحجاج في الدرس الغربي:

يشير لفظ "Argue" في الإنجليزية إلى وجود اختلاف بين طرفين، ومحاولة كلّ منهما إقناع الآخر بوجهة نظره، بتقديم الأسباب أو العلل "Reasons" التي تكون الحجة "Argument"، مع أو ضد فكرة أو رأي أو سلوك ما[25]

وأما في اللغة الفرنسية فتشير كلمة "Argumentation إلى: القيام باستعمال حجة أو مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.[26]

وأما اصطلاحا فقد وردت العديد من التعريفات التي حاولت جاهدة توضيح ماهيته، وتحديد آلياته واستخلاص وظائفه، ولا تختلف تلك التعريفات إلا في درجة النظر للموضوع قيد الدراسة. ومن أبسط تلك التعاريف مثلا:

يعد كريستيان بلانتان Cristianne Plantene المحاججة ممارسة فكرية؛ إذ" للمحاججة وجه معرفي، أن تحاجج يعني أن تمارس فكرا صائبا، وبواسطة الإجراء التحليلي والائتلافي نبني مادة ثم نطرح قضية للنقد، إننا نفكر ونفسر ونبرهن بواسطة الحجج والعلل والدلائل، كما تقدم الدوافع، وبهذا تكون خلاصة المحاججة اكتشافا، حيث تنتج إبداعا أو لا شيء أقل من المعرفة."[27].

ولهذا فإن أساس الخطاب الحجاجي هو الإقناع عبر تقنيات معلومة، سواء أكانت لغوية أم غير لغوية، تستهدف متلقيا معروفا أو متوقعا.

ويؤرخ بعض الباحثين للدراسات الحجاجية بالرجوع إلى بريلمانChaïm Perelman وتيتيكا Olbrechts-Tyteca ،حيث تطلق كلمة argumentation على العلم وموضوعه، ومؤداها درس تقنيات الخطاب التي تؤدي بالذهن إلى التسليم، وربما كانت وظيفته محاولة جعل العقل يذعن لما يطرح عليه من أفكار، أو يزيد في درجة ذلك الإذعان فيبعث على العمل المطلوب . وهو ما سنتناوله بقليل من الشرح في المبحث الموالي.

وأما بيرلمان فيعرفه بقوله: دراسة التقنيات الخطابية التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم[28]

ويعتقد بيرلمان أن وظيفة هذه التقنيات:" الفعل في المتلقي على نحو يدفعه إلى العمل أو يهيئه للقيام بالعمل[29]؛ ذلك أنها تحمل وظائف ثلاثة هي:" الإقناع الفكري/العقلي الخالص، الإعداد لقبول أطروحة ما، الدفع إلى الفعل[30]"

ويفرق بيرلمان بين نوعين من الحجاج: نوع يسميه الحجاج الاقتناعي L'argumentation convaincante ومفاده: أن يسلم به كل ذي عقل، فهو عام.[31] والنوع الثاني وهو الحجاج الإقناعي (L'argumentation persuasive) وهو الذي يستهدف متلقيا خاصا، ولهذا أولى بيرلمان الأهمية القصوى للأول لأنه" أساس الإذعان وأساس الحجاج[32]"

وأساس الفرق بين الاقتناع والإقناع عنده هو: " أن المرء في حالة الاقتناع يكون قد أقنع نفسه بأفكاره الخاصة، أما في حالة الإقناع فإن الغير هم الذين يقنعونه دائما[33]"

2-آليات الحجاج وتقنياته في الفكر الغربي :

رغم أن الحجاج يضرب بجذوره في أعماق التفكير المنطقي اليوناني، وخاصة الأرسطي منه، إلا أننا سنقتصر في دراستنا هذه على ما قدمه شاييم بيرلمان؛ إذ يعد بحق عرابه الحقيقي، فهو من أحسن تفصيله وبرع في تبويبه

إن ربط بيرلمان الحجاج بالتقنيات معناه أن تفصيلنا كلامه سينزح هذا المنحى، وهو بالمنطق أشبه منه بالبلاغة، وهو أمر لابد منه.

لقد قسم بيرلمان التقنيات الحجاجية قسمين: الأولى هي: الحجج القائمة عل الوصل، وهي التي تمكن من نقل القبول الحاصل حول المقدمات إلى النتائج. والثاني هو الحجج القائمة عل الفصل، وهي التي تسعى إلى الفصل بين عناصر ربطت اللغة أو إحدى التقاليد المعترف بها بينها[34]

أ-طرائق الوصل procédés de liaison وهي التي تمكن من نقل القبول الحاصل حول المقدمات إلى النتائج، وتتفرع بدورها إلى ما يلي:

أ-1 الحجج شبه المنطقية (Les arguments quasi-logiques)

وهي التي "تستمد قوتها الإقناعية من مشابهتها للطرائق الشكلية (Formelle)، والمنطقية والرياضية في البرهنة، لكن هي تشبهها فحسب وليست هي إياها؛ إذ فيها ما يثير الاعتراض[35] وتعتمد في أساسها على ما يقره المنطق من مبادئ ومنها "التناقض والتماثل التام أو الجزئي، وقانون التعدية[36]" وقد فصلها بيرلمان إلى تفريعات أكثر دقة وهي:

أ-1-1الحجج شبه المنطقية التي تعتمد البنى المنطقية :و هي بدورها أنواع

أ-1-1-1التناقض وعدم الاتفاق (Contradiction et incompatibilité) المقصود بالتناقض (Contradiction)هو أن تكون هنا قضيتان propositions في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى

ونقض لها[37]" ويفرق بين التناقض والتعارض؛ إذ" التعارض بين ملفوظين يتمثل في وضع الملفوظين على محك الواقع والظروف أو المقام، لاختيار إحدى الأطروحتين وإقصاء الأخرى[38] "

أ-1-1-2التماثل والحد في الحجاج(L'identité dans l'argumentation)

التماثل هو كذلك صنف من الحجج المعتمدة على البنى المنطقية، و "مداره على التعريف Définition من حيث هو تعبير عن التماثل بين المعرَّف Le définiens والمعرِّفLe définien dum ، وليس المعرِّف تمام المعرَّف على الحقيقة[39]"

أ-1-1-3 الحجج القائمة على العلاقة التبادلية(arguments de réciprocité)

تعتمد هي الأخرى على البنى المنطقية للتبادل، وذلك حين نبادل بين قضيتين تبدوان متماثلتين متشابهتين ومن نفس الصنف، ولكنه تبادل عكسي انطلاقا من مبدأ العدل بينهما، أي باعتبار أن " الكائنات المنتمية إلى نفس الفئة الأساسية ينبغي أن تعامَل بالطريقة نفسها[40]" و من أمثلة ذلك قول أحد المتسولين " : لا أفهم كيف يمكن أن يعتبر التسول جريرة في مجتمع يرى الصدقة فضيلة" [41]

أ-1-1-4حجج التعدية: (L'arguments de transitivité)

ترتكز هذه الحجة على علاقة صورية منطقية بين طرفين فأكثر، مضمونها أنه إذا كانت هنا علاقة معينة سواء مساواةégal، أو تضمينinclusion، أو كبَرplus grand que، بين(أ) و(ب)، والعلاقة نفسها موجودة بين(ب) و(ج)، فإنه وفق قانون التعدية توجد علاقة تعدية بين(أ) و(ج)، وهذه السمات الصورية للتعدية والاشتمال قابلة للنقل إلى حقل الحجاج[42] " ، ومن أمثلة ذلك الواقع قولنا(عدو صديقي عدوي)فهي علاقة تعدية، وفي نفس الوقت تتضمن (inclus dans) علاقة أخرى مفادها أن(صديق عدوي عدوي)، غير أن هذه الحجج قد يكذبها الواقع ويردها، لأنه ليس بالضرورة أن يكون عدو صديقي عدوي، ولا صديق عدوي عدوي .

أ-2-الحجج شبه المنطقية التي تعتمد العلاقات الرياضية: وتتفرع منها

أ-2-1 إدماج الجزء في الكل : هذا النوع من الحجج يتأسس على مبدأ رياضي هو " أن ما ينسحب على الكل ينسحب على الجزء من هذا الكل"[43]

أ-2-2حجة تقسيم الكل إلى أجزاء: (Argument de division)

هذه الحجج تلجأ إلى تقسيم الكل باعتباره أفضل وأهم وأشمل إلى أجزائه المكونة؛ حيث يوظفها المحاجج كي يتسنى له إدراج " تلك الأجزاء وتحميلها الشحنة الإقناعية التي كانت لها مجتمعة"[44]

أ-2-3حجة المقارنة: (l'argument de comparaison) حيث تعتبر المقارنة حجة شبه منطقية حين لا تسمح بإجراء وزن أو قياس فعلي"[45]

أ-3-الحجج المؤسسة على بنية الواقع(Les arguments basés sur la stucture du réel)

الحجج المؤسسة على بنية الواقع " تستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلَّم بها[46]" وهي أيضا تتفرع إلى:

أ-3-1الاتصال التتابعي والحجة البراغماتية

هذا النوع من الحجج يعتمد عل علاقة الاتصال السببي من طريقين، إما الربط بين السبب أو الحدث أو المقدمة وما ينتج عنها من نتائج، وإما عكسيا تنطلق من النتائج لتصل إلى أسبابها، ويتم ذلك عبر ثلاثة أنواع من الحجاج " حجاج يسير في اتجاه البحث عن أسباب ظاهرة ما[47]" أي يعتمد في بنائه على الربط بين السبب ونتائجه مثل : تكاسلَ فرسب، و"حجاج يرمي إلى تحديد آثار ظاهرة ما[48]" ومن أنواع حججه ما يلي:

أ-3-1-1الحجة النفعية: (Argument pragmatique) وهي التي يعرفها بيرلمان بقوله: "أُسمّي حجة نفعية حجة النتائج التي تقيم فعلا أو حدثا أو قاعدة، أو أي شيء آخر تبعا لنتائجه الإيجابية أو السلبية[49]"

أ-3-1-2حجة التبذير أو التبديد : (l'argument de gaspillage) قد تبدو هذه الحجة للوهلة الأولى متعلقة بصفة تبديد الحجج، أي كثرة توظيفها والإسراف فيها على نحو يقلل من فعاليتها، ولكنها غير ذلك، فهي تقوم عل ضرورة استكمال ما بُدئ فيه وإتمام ما شُرع بعدُ في القيام به، ويتلخص ذلك " في القول بأننا لما كنا بدأنا عملا ما، ولما كنا سنخسر تضحيات تجسّمناها في سبيله لو تخلّينا عن المهمة فإنه ينبغي المواصلة في الاتجاه ذاته[50] " ، وبالتالي فهذه الحجة تلعب دورا مهما في جعل المتلقي يذعن ويقتنع بمواصلة ما بدأ فيه وإكماله ما دام أنه قطع شوطا في ذلك، وبذل إمكانات وتضحيات من أجل ذلك.

أ-3-1-3حجة الاتجاه " : (l'argument de direction) تتمثل أساسا في التحذير من مغبّة اتباع سياسة المراحل التنازلية كقولنا : إذا تنازلتَ هذه المرة وجب عليك أن تتنازلَ أكثر في المرة القادمة، والله أعلم أين ستقف بك سياسة التنازلات هذه ؟[51]"

أ-3-2الاتصال التواجدي وعلاقات التعايش(les liaison de coexistance)

أ-3-2-1الشخص وأعماله: وهنا تربط صور الاتصال التواجدي بين علاقات متداخلة بين الشخص وأعماله،" وتتمثل هذه الحجة في تفسير حدث أو موقف ما، والتنبؤ به انطلاقا من الذات التي تعبر عنه أو تجلّيه وتوضّحه[52] "

أ-3-2-2حجة السلطة: (Argument d'autorité)

هنا حجج متنوعة في خطابات الناس تستمد قوتها من هيبة prestige الشخص ومكانته، ومن بينها حجة السلطة التي يستخدم فيها المحاجِج " هيبة شخص أو مجموعة أشخاص لدفع المخاطَب إلى تبني دعوى ما، والسلطات التي يتم الاعتماد عليها في الحجاج متنوعة، فقد تكون الإجماع أو الرأي العام تارة، وقد تكون فئات من الناس تارة أخرى كالعلماء والفلاسفة ورجال الدين والأنبياء، وأحيانا قد تكون سلطة غير شخصية كالفيزياء أو المذهب أو الكتب المنزّلة[53]"

وفي هذا السياق يقول بيرلمان " : تأتي حجة السلطة في أغلب الأحيان لتكمّل حجاجا ثريا عوض أن تكون الحجة الوحيدة فيه، فنستنتج عندها أن سلطة ما قد تُرفع أو تحط حسب اتفاقها أو اختلافها مع رأي المتكلم "[54]

أ-3-2-3الاتصال الرمزي(La liaison symbolique)

تُلحق الروابط الرمزية بروابط التواجد والتعايش حسب بيرلمان، فالرمز (Symbole) له "قوة تأثيرية في الذين يقرون بوجود علاقة بين الرامز والمرموز إليه كدلالة العَلَم في نسبته إلى وطن معيّن، والهلال بالنسبة إلى حضارة الإسلام، والصليب بالنسبة إلى المسيحية، والميزان إلى العدالة "[55]

أ-3-3الحجج المؤسِّسة لبنية الواقع: وتشمل:

أ-3-3-1 تأسيس الواقع بوساطة الحالات الخاصة وطرقه هي :

-المثل(l'exemple) يؤتى بالمثل لدعم وتقوية أطروحة ما " في الحالات التي لا توجد فيها عادة مقدمات[56] (des prémisses)وتكون هذه الأطروحة محل خلاف بين المحاجِج والمتلقي، فيُستخدم المثل لترسيخ وتثبيت قاعدة خاصة في ذهن المتلقي الذي تكون له خلفية مسبقة حول هذا المثل، و "الأمثال هي بنيات مستمدة من الواقع الماضي بما يختزنه من تجارب إنسانية، وأحداث تاريخية ذات قيمة مجتمعية تحظى باهتمام الأفراد، وتُستخدم داخل القول الحجاجي للإقناع بما تقدمه من تصور وتجريد للأشياء، وما تتضمنه من مشابهة يستدعيها سياق القول الحجاجي"[57]

-الشاهد (L'illustration) يؤتى بالشاهد به من أجل " توضيح القاعدة وتكثيف حضور الأفكار في الذهن[58] " ، وبالتالي يقوي درجة تصديقها لدى المتلقي، وتوضيحها بشكل يجعلها كأنها ماثلة بين يديه ،فـ " حكايات كليلة ودمنة مثال جيد في هذا الإطار؛ فهي تبدأ دائما بتسطير القاعدة قبل سرد أحداث الحكاية التي تأتي لتوضيح تلك القاعدة "[59] ، كونها تنطلق من قضية عامة إلى حالات خاصة توضّحها وتجلّيها، ويدخل في المعنى " الاستشهاد بالنصوص ذات القيمة السلطوية على المخاطَب كالمقولات الدينية، أو كلمات القواد الخالدين في نظر الجماعة المقصودة[60]. "

-النموذج والنموذج المضاد (Modèle et l'anti-modèle) يستخدمها المحتج أنموذجا ذا قيمة اجتماعية معترف بها ومسَلَّم بها، "للحض على عمل ما اقتداء به ومحاكاة له ونسجا عل منواله[61] " ، أي أنه يقدمها للمتلقي كقدوة يُحتذى بها ويُسلَّم بها، لحثه عل فعل أو سلوك أو موقف معين، وكذا لدعم وترسيخ قضية أو دعوى معينة، فتوظيف النموذج إذن يسهم كثيرا في حجاجية الخطاب، وجعله يحظى بقبول واسع، يتضح من ذلك أن " أنسب المجالات لتوظيفه مجال التوجيه والقيادة، توجيه المتلقي إلى سلوك معين وقيادته نحو موقف محدد[62] "

أ-3-3-2تأسيس الواقع بوساطة التمثيل(L'analogie)

وهو " طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مرتبطة[63]"

أ-3-3-3تأسيس الواقع بوساطة الاستعارةmétaphore)

لا ينظر بيرلمان إلى الاستعارة بأنها مجرد صورة أسلوبية لتجميل الكلام – وإن كان ذلك من وظائفها– وإنما تجاوز ذلك إلى اعتبارها حجة تؤدي وظيفة إقناعية، هذه الاستعارة مشتقة من مفهوم التمثيل، فإذا كان التمثيل يُعنى بتشابه علاقة بين الموضوع(thème) والحامل(phore) ، فإن الاستعارة " هي تمثيل مكثف وموجز، ووجه الكثافة فيه والإيجاز الاندماجُ الحاصل بين أحد عناصر الموضوع، وأحد عناصر الحامل، اندماجا لا يمكن معه معرفة أي العنصرين هو الموضوع، وأيهما هو الحامل[64] "

ب-طرائق الفصلprocédés de dissociation

وهي التي "يُعمد فيها إلى الكل فيحدث فيه فصلا بين حقيقته وظاهره[65]" حيث يتم فيها تفتيت أجزاء العنصر الواحد إلى جزيئات تشكل كل منها قضية حجاجية، وفي هذا المستوى يتم تفتيت ما يعتقد أنه غير قابل للانقسام، ويفرق بين الظاهر والواقع، "فبالنظرة الأولى لا يكون الظاهر سوى تجليا للواقع، ولكن حين تكون الظواهر (les apparences) متعارضة... فإنها لا يمكن أن تمثّل الواقع كما هو، لأنه محكوم بمبدأ عدم التناقض، ويصبح من الضروري إذن تمييز الظواهر التي تطابق الواقع عن تلك التي تكون خادعة[66]"فالمظاهر خداعة، وليس كل ما يلمع ذهبا.

خاتمة:

من خلال كل ما تم التطرق إليه، وبعد الدراسة التحليل تم التوصل إلى ما يلي:

-في الفكر العربي، يعد الجاحظ عراب الحجاج في الدرس البلاغي، فنظّر لآليات الإقناع وخصوصا ما تعلق بالمُحاجِج والذي يسميه الخطيب في أغلب الأوقات.

-في الفكر الغربي، يعد شاييم بيرلمان المنظر الحقيقي لمفاهيم الحجاج؛ حيث توسع في مفاهيمه وبسط جميع سبله.

-لقد فصل الجاحظ وابن وهب مفاهيم الحجاج وآلياته، فتطرقا إلى عناصر العملية التخاطبية، ونزع فعلها إلى البلاغة.

- لقد فصل بيرلمان آليات الحجاج مركزا الحجة وما تكون عليه من أنواع، بالإضافة إلى اعتماده المنطق أكثر من أي شيء آخر.

-الحجاج كمفهوم إنساني موجود عند جميع الأمم، وهو من الآليات الكفيلة بخلق الإقناع وجلب التأثير والتأثر

-أغلب مفاهيم الحجاج متقاربة، وهي تستدعي في صورتها البسيطة أطراف العملية التواصلية وتختلف معها من حيث الهدف، فالأولى تقصد التبليغ والثانية تستهدف الإقناع والتأثير

-تختلف آليات الحجاج من أمة لأخرى، ومن مفكر لآخر، وتلعب البيئة الفكرية والمذهب العقدي دورين حاسمين في تحديد المنطلقات وتكييف الآليات.

- مفاهيم الحجاج تتشابه إلى حد بعيد بين المفهومين العربي والغربي؛ ذلك أن المحاججة تعتمد على مفهومي الإقناع والاقتناع، وهما ضروريان في كل عملية تواصلية.

هوامش :

1 ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، (مصر)مادة حجج. ج 2/ 778
2 أبو البقاء الكفوي، الكليات(1998م) مؤسسة الرسالة، (بيروت، لبنان)، ط2، 406.
3 سورة البقرة 150
4 صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة وقصرها،804، 361/1 .
5 الجاحظ، الرسائل، تح: عبد السلام هارون (1964م ،1384ه)، مكتبة الخانجي،(القاهرة، مصر)، ص1126
6الجاحظ، البيان والتبيين،(1418ه، 1998م) تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي(القاهرة، مصر) ط7. ج2، ص26.
7 ن م، ن ص
8 ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: حنفي محمد شرف، مطبعة الرسالة عابدين، (مصر).،ص176
9 انظر: نفسه ص 188
10 النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع، محمد العبد، مجلة فصول، مصر، العدد60، 2002، ص46
11 أبو الزهراء دروس الحجاج الفلسفي، (2003)، مكتبة الخانجي (مصر).ص5
12 طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي،(1998م) المركز الثقافي العربي، (المغرب)ط1ص 226
13 الجاحظ، البيان والتبيين ج1/ص92.
14 نفسه ج1 /ص53.
15 نفسه ج1/ص34
16 نفسه ج2/ص26.
17 نفسه ج1/ص212
18 نفسه ج1/ص34.
19 نفسه ج1/ص131.
20 انظر: ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، ص ص 188- 193.
21 البيان والتبيين، الجاحظ، ج1/ص112
22 نفسه ج1/ص129
23 نفسه ج1/ص114.
24 الرسائل الأدبية، الجاحظ، ج1/ص440
25 Longman, Dictionary of contemporary English, longman 1989.
26 Petit Robert, Dictionnaire de la langue Français,1er redaction, Paris,1990, p : 99.
27 -كريستيان بلانتان: لغة المحاججة واللغة الواصفة، ترجمة نصيرة الغماري،
http://aslimnet.free.fr/ress/n_ghoumari/ghou1.htm تمت الزيارة في 2022/08/01.
28 عبد الله صولة، في نظرية الحجاج –دراسات وتطبيقات-(2011م) مسكيلياني للنشر والتوزيع، (تونس)، ط1، ص13

29 سامية الدريدي ،الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة –بنيته وأساليبه- (2008م)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، (الأردن) ط1، ص21

30 عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية (2012م)، عام الكتب الحديث (الأردن) ط1ص30

31 عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص15

32 ن م، ن ص

33 كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه،(2012م) عالم الكتب الحديث، (الأردن)، ط1، ص118

34 عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص57

35 نفسه، ص42

36 عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية ،(2014م)، عالم الكتب الحديث، (الأردن) ط1، ص85

37 عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص43

38 ن م، ن ص

39 ن م، ن ص

40 الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص 64

41 نفسه، ص66

42فيليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ص: 49

43 سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص210

44 محمد سام محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص129

45 الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص69

46 عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص49

47 الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص 71

48 ن م، ن ص

49 ن م، ن ص

50 سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص224

51 عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص51.50

52 سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص228

53 الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلمان، ص:79

54 سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص:236

55 صابر الحباشة التداولية والحجاج، مداخل ونصوص(2008)، صفحات للدراسات والنشر (سورية) ط1ص48

56 عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص54

57 قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجّه إلى بني إسرائيل(2012)، عالم الكتب الحديث (الأردن)،ط1، ص46

58 صابر الحباشة، التداولية والحجاج، ص 49

59 الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص85
60 محمد سام محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة(2008)، دار الكتب الجديدة المتحدة، (لبنان)، ص: 131
61 عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص55
62 سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي، ص245
63 عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير - مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج- (2012م) أفريقيا الشرق (المغرب)ط2، ص97
64 عبد الله صولة، في نظرية الحجاج، ص60
65سعيد العوادي، تلقي الحجاج في الدراسات العربية المعاصرة، عبد الله صولة أنموذجا، ضمن : الحجاج والاستدلال الحجاجي – دراسات في البلاغة الجديدة، مجموعة باحثين، إشراف : حافظ إسماعيلي علوي،(2011م) دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع (عمان، الأردن)، ط1، ص271
66الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ص95

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
1) أبو البقاء الكفوي، الكليات(1998م) مؤسسة الرسالة، (بيروت، لبنان)، ط2
2) حافظ اسماعيلي علوي، الحِجاج مفهومه ومجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، (2010) عالم الكتب الحديث، (اربد، الأردن)، ط1
3) الجاحظ، البيان والتبيين،(1418ه، 1998م) تحقيق عبد السلام محمد هارون ،مكتبة الخانجي (القاهرة)، ط7.
4) الجاحظ، الرسائل، تح: عبد السلام هارون (1964م ،1384ه)، مكتبة الخانجي،(القاهرة، مصر)
5) الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان(2014م)، دار الكتب الجديدة المتحدة، (لبنان)، ط1
6) أبو الزهراء دروس الحجاج الفلسفي، (2003)، مكتبة الخانجي (مصر).
7) سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة –بنيته وأساليبه- (2008م)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، (الأردن) ط1
8) سعيد العوادي وآخرون، الحجاج والاستدلال الحجاجي – دراسات في البلاغة الجديدة، مجموعة باحثين، إشراف: حافظ إسماعيلي علوي،(2011م) دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع (عمان، الأردن)، ط1
9) صابر الحباشة التداولية والحجاج، مداخل ونصوص(2008)، صفحات للدراسات والنشر (سورية) ط1
10) طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي (1998م) المركز الثقافي العربي، (المغرب)ط1.
11) عباس حشاني، خطاب الحجاج والتداولية ،(2014م)، عالم الكتب الحديث، (الأردن) ط1
12) عبد الجليل العشراوي، الحجاج في الخطابة النبوية (2012م)، عام الكتب الحديث (الأردن) ط1
13) عبد الله صولة، في نظرية الحجاج –دراسات وتطبيقات-(2011م) مسكيلياني للنشر والتوزيع، (تونس)، ط1
14) عبد السلام عشير، عندما نتواصل نغير - مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج- (2012م) أفريقيا الشرق (المغرب)، ط2

15) فيليب بروتون وجيل جوتييه، تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة : محمد صالح ناجي الغامدي (2011)مركز النشر العلمي (السعودية)، ط1.
16) قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني الموجّه إلى بني إسرائيل(2012)، عالم الكتب الحديث (الأردن)،ط1
17) كمال الزماني، حجاجية الصورة في الخطابة السياسية لدى الإمام علي رضي الله عنه، (2012م) عالم الكتب الحديث، (الأردن)، ط1
18) محمد سام محمد الأمين الطلبة الحجاج في البلاغة المعاصرة(2008)، دار الكتب الجديدة المتحدة، (لبنان).
19) مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية(بيروت).
20) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف.(مصر)
21) ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق: حنفي محمد شرف، مطبعة الرسالة عابدين، (مصر).

المراجع باللغات الأجنبية

22) Longman, Dictionary of contemporary English, Longman 1989.
23) Petit Robert, Dictionnaire de la langue Française,1ere édition, Paris,1990.

المجلات:

- مجلة فصول، مصر، العدد60، 2002

المواقع الإلكترونية:

http://aslimnet.free.fr/ress/n_ghoumari/ghou1.htm